حث الله عليه نبيه وجميع خلقه وعباده المؤمنين

الاستغفار.. توسعة في الرزق ونجاة في الآخرة

حث الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على سؤاله المغفرة. قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:106] وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:3] وقال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:19] حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين وجميع خلقه على طلب المغفرة. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:221]. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133]. وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:199] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:6].

حتى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم بمعصيتهم لربهم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:110]، وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر:49-50]. وينادي الله على عباده ويحثهم سبحانه على سؤاله المغفرة لذنوبهم كما في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم» (مسلم [2577]) وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: «أذنب عبد ذنبا، فقال: اللهم! اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم غاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم غاد فأذنب، فقال: أي رب! اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك» (أخرجه أحمد [2/296، 405، 492]، والبخاري [7507] ومسلم [2758] واللفظ له).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم» (أحمد، ومسلم [2749])، وفي رواية لأحمد والترمذي: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم» (صحيح: انظر: صحيح الجامع [5253] عن أبي هريرة رضي الله عنه)، وعن أبي أيوب أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمت عنكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله خلقا يذنبون يغفر لهم» (رواه مسلم [2748])، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة» (حسن: أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن، الضياء، وانظر: صحيح الجامع [4338]، المشكاة [2336]).

من فضائل الاستغفار:

1 - مغفرة الله تعالى للمستغفرين:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:110] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:64]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:135-136].

2 - الاستغفار دلالة على الإيمان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» (أحمد [24665]، مختصر مسلم [88]، ابن حبان [330]، صحيح الجامع [7806]). قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «هل ذلك نافعه؟» معناه: هل ذلك مخلصه من عذاب الله المستحق بالكفر، فأجابها بنفي ذلك، وعلله بأنه لم يؤمن، وعبّر عن الإيمان ببعض ما يدل عليه وهو قوله: «لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: للإمام أحمد بن أبي حفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري القرطبي)، والدليل على ذلك قوله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:82].

وهاهو شاهد إيماني من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نحو سؤاله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يستغفر له عما بدر منه لما كان عمر رضي الله عنه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن اعتزل نساءه في المشربية وكانوا يظنون أنه صلى الله عليه وسلم طلق نساءه وجاء ليعظ ابنته حفصة رضي الله عنها. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فجلست حين رأيته تبسم، فرفعت بصري في بيته فو الله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة فقلت: «يا رسول الله! ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله»، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال: «أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب، إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت: يا رسول الله! استغفر لي... » (البخاري [5191]) ويدل على ذلك أيضا حال المنافقين من الإعراض عن سؤال المغفرة، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء:64]. ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:5].

وفي قصة الأعرابي الذي أعرض عن سؤال رسول الله صلى الله وعليه وسلم له المغفرة، وأخبر بأنه لأن يحد جمله الأحمر خير له شاهد كاف أيضا من السنة على ذلك، فعن جابر بن عبد الله قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يصعد الثنية ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل» قال: «فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر». فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان رجل ينشد ضالة له» (رواه مسلم).

وحتى طلبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم لتخلفهم عن غزوة تبوك كان قولا بالسنتهم دون عمل قلوبهم لكذبهم في اعتذارهم، لقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:11]. وعن عمارة عن الأسود قال: «قال عبد الله إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار» (صحيح موقوف: رواه أحمد في المسند [3627، 3629] تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، والترمذي [2497]، ومسند أبو يعلى [5177]).

3 - رفع العذاب وجلب الرحمة بالاستغفار:

لقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال:33]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكد يركع، ثم ركع فلم يكد يرفع، ثم رفع فلم يكد يسجد، ثم سجد فلم يكد يرفع، ثم رفع فلم يكد يسجد، ثم سجد فلم يكد يرفع، وفعل في الركعة الأخرى مثل ذلك، ثم نفخ في آخر سجوده فقال: أف، أف، ثم قال: «رب، ألم تعدني أن لا تعذبهم، وأنا فيهم؟ ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون؟» فقرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته وقد انجلت الشمس وساق الحديث» (صحيح: أخرجه أبو داود [1/1194] وذكر فيه ركوعا واحدا، والنسائي [3/1495]؛ أحمد في مسنده [2/159، 163، 188، 198]، وابن خزيمة [(901، 1389، 1392، 1393] من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر رحمه الله، وصححه الألباني في مختصر الشمائل [288]).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أمران نجى الله بهما أمة محمد صلى الله عليه وسلم من العذاب، رفع واحد، وبقي الثاني. قيل: يا أمير المؤمنين فما هما؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:33] وقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم، وبقي الاستغفار، فمن داوم عليه مخلصا منيبا، حرم جسده على النار». وقال أيضا: «العجب ممن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار»، وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:147]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف:55] وسنة الأولين: العذاب الذي يرسله الله على المكذبين للرسل وفي حال خسوف الشمس أو القمر. لقوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتم شيئا من ذلك، فافزعوا إلى ذكره، ودعائه، واستغفاره» (متفق عليه).

وأما الدليل على أنه من أسباب جلب الرحمة قوله تعالى عن نبيه صالح لقومه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل:46]. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: «لم تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يجلب لكم العقوبة؟ هلا تستغفرون الله وتتوبون إليه من الشرك، رجاء أن ترحموا، أو كي ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر» (فيض القدير [4/179]).

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم:10]. في تفسير الجلالين لقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ -﴿مِنْ﴾ زائدة، فإن الإسلام يغفر ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حق العباد، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أجل الموت- (تفسير الجلالين ط. دار الحديث، ص: 331 الطبعة الثالثة).

وعن السماك بن حرب عن النعمان بن بشير رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195] يقول: «إذا أذنب أحدكم فلا يُلقين بيده إلى التهلكة، ولا يقولن لا توبة لي، ولكن ليستغفر الله وليتب إليه، فإن الله غفور رحيم» (شعب الإيمان للبيهقي [7092]).

4 - الاستغفار بعد الذنب سبب لصلاح القلب:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الريْن الذي ذكر الله عز وجل في القرآن: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» (حسن: أخرجه أحمد [2/297]، والترمذي [3334]، وابن ماجة، وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع [1670]).

5 - إن الله تعالى ليعجب ممن يستغفره عالما بأنه لا يغفر الذنوب غيره:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، وهو يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري» (صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع [2069]، و الصحيحة [1653]).

مساجد الإسلام .. في كل مكان

مسجد إيفري كوركورون بفرنسا

مسجد ايفري كوركورون هو مسجد فرنسي يقع في مدينة ايفري التي تبعد 26 كيلومتر عن العاصمة باريس.

مسجد ايفري كوركورون يقع في مدينة ايفري من بلدية كوركورون من إقليم إيسون في منطقة إيل دو فرانس.

التاريخ في السنوات 1980 بدأت حملة لجمع التبرعات لمشروع بناء مسجد في مدينة ايفري. و لكن قلة الأموال و عدم وجود ممول أدى إلى البحث عن تمويل من دول الخليج و منه تدخل الشيخ السعودي أكرم عاجا (أكرم أجا) لتمويل المشروع.

و بعد الحصول على التمويل، حصلت الهيئة المشرفة على المشروع على رخصة البناء سنة 1984 و منه وضع حجر الأساس في نفس السنة.

بدأت الأشغال العامة سنة 1985 و تكفلت جمعية الحسن الثاني بن محمد بالزينة لتزيين و النقش الداخلي و الخارجي للمسجد و كذلك تزويقه على الطراز العربي الإسلامي.

و بعد 9 سنوات و نيف فتح المسجد رسميا و كان هذا قبل أشهر من إفتتاح كاتدرائية القيامة في ايفري. المهندس المشرف على هذا المسجد كان هنري بودو و الذي له عدة مباني في الجزائر و تونس.

سنة 1996، وقع مرسوم يقتضي منح المسجد صفة هيئة دينية مشرفة على التضحية (الذبح الإسلامي) و مراقبة المحلات التجارية الإسلامية (المطاعم) التي تستخدم اللحم الحلال، و أيضا الإشراف على مراقبة اللحوم المذبوحة على الطبقة الإسلامية في فرنسا.

منذ إفتتاحه سنة 1994 من طرف عميد المسجد خليل مرون، أصبح المسجد يستقبل الرجال و النساء و يتجون المسجد من:

مئذنة وحيدة يبلغ طولها 25 م.

مركز تعليم الإسلام.

9 قاعات للدراسة كل واحدة لديها طاقة إستيعاب 25 شخص.

بضع قاعات للوضوء تلبي حاجات ذوي الإحتياجات الخصوصية. قاعة صلاة تتسع ل5000 شخص. مركز ثقافي تحت رعاية المسجد.

مع مساحة 7000 متر^2، مسجد ايفري كوركورون هو من أكبر مساجد فرنسا مع مسجد باريس، و أيضا من أكبر مساجد أوروبا بعد المسجد الكبير في روما و مسجد بيت الفتوح في لندن.

كانت أول كلمة نزلت في القرآن اقرأ لتدلنا على قيمته

البحث العلمي في الإسلام .. وأهميته للفرد والمجتمع

■ طلب العلم فريضةٌ على المسلمين وهو في ذلك لا يميز بين عِلمٍ وآخَر

■ اعتبَر الدين الحنيف إيمانَ الإنسان وعبادة الله غير كاملةٍ ما لَم تَصدر عن علمٍ وإدراك وبصيرة

اصطفى الله - سبحانه وتعالى - واعد سيّدنا محمّدًا - صلى الله عليه وسلم - لحمل رسالة الإسلام، وجعلها اللة خاتمة الشرائع السماويّة، وخاطب بها البشريّة في مختلف العصور وسائر البقاع، وجعل أساسها وركيزتها الأولى العلمَ والخلق؛ ولذا فقد اختصّ الله رسول الإسلام بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4][1]

وكانت أوّل كلمة نزلت في القرآن الكريم: ﴿ اقرأ ﴾، وهي تدلنا على الطريق السليم، والصّراط المستقيم، والمتمثل في مدى اهتمام الإسلام بالعلم، وأهمّيّة البحث العلميّ وقيمته بالنّسبة للفرد والأسرة والمجتمع[2].

وقد جاء الإسلام داعيًا إلى البحث العلميّ والدّراسة والتّمحيص والتنقيب والمعرفة؛ فالحكمة ضالّة المؤمن، وطلب العلم فريضة على المسلمين، وهو في ذلك لا يميز بين علم وآخر، بل اعتبَر العلوم النافعة هيَ تلك التي تحقّق مصلحة دينيّة، أو توصل إلى منفعة دنيويّة، وقد دعا الإسلامُ إلى تمجيد العقل، وتحصيل العلم، حتّى إنّه قرن شهادة العلماء بشهادة الملائكة: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: 18].

بل اعتبَر إيمانَ الإنسان وعبادة الله غير كاملة ما لم تَصدر عن علم وإدراك وبصيرة: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 43][3].

وخلال الفترة الذهبيّة من تاريخ الإسلام حتّى القرن الثامن عشر، أنشئت المدارس في مختلف البلاد الإسلاميّة شرقًا وغربًا، وكثرت المكتبات، وامتلأت بالمؤلّفات في مختلف العلوم، حتّى إنّ مكتبة خلفاء الأندلس، اشتملت وحدها على ستّمائة ألف مجلّد، وقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامّة إلى جانب الكثير والكثير من المكتبات الخاصّة، وقد اجتذبت هذه المكتبات الباحثين عن المعرفة من منابع العالم المختلفة ينهلون من علوم العرب ومؤلّفاتهم.

ففي علم الكيمياء، يُعتبر «جابر بن حيان» مؤسّس هذا العلم، وظلّت أبحاثه وما توصّل إليه من معلومات ومعارف هي المرجع الأوّل في أوروبا، حتّى القرن الثامن عشر، وفي الطب كان كتاب «الحاوي» للطبري، وهو من عشرين مجلّدًا، وكذلك كتاب «القانون» لـ«ابن سينا»، و«الموجز في الطب» لـ«ابن النفيس»، تُعدّ من أهمّ المراجع العلميّة الأساسيّة[4].

وفي علم البصريّات كان «ابن الهيثم» في المقدّمة؛ عن طريق تطبيق هندسيّة معقّدة، بالإضافة إلى القياسات المضبوطة في علم البحث البصري، نقل ابنُ الهيثم الدّراسات الإغريقيّة في انعكاس وانكسار بالضوء إلى نقطة ظلّت غير قابلة للتّجاوز، أو بتعبير آخر: مقبولة؛ باعتبارها دقيقة علميًا حتّى مقدم البصريّات الحديثة[5].

ويقول وهو بصدد بحثه في كيفيّة الإبصار: «نبتدئ في البحث باستقراء الموجودات، وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواصّ الجزئيّات، ونلتقط باستقراء ما يخصّ البصر في حال الإبصار، وما هو مطّرد، لا يتغيّر، وظاهرٌ لا يشتبه من كيفيّة الإحساس، ثم نترقّى في البحث والمقاييس على التدرّج والترتيب، مع انتقاد المقدّمات، والتحفظ في النّتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفّحه استعمال العدل، لا اتّباع الهوى، ونتحرّى في سائر ما نميّزه وننتقده طلبَ الحقّ لا الميل مع الآراء، فلعلّنا ننتهي بهذا الطريق إلى الحقّ الذي يثلج الصّدر، ونصل بالتدريج إلى الغاية التي عندها يقع اليقين، وتظفر مع النّقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف.

فجمع الحسن في هذا بين الاستقراء والقياس، وقدم الأوّل على الثاني، وحدد الشرط الأساسي للبحث العلمي، وهو الموضوعيّة في طلب الحقّ دون تأثر برأي أو عاطفة سابقة».

وقد أسمى التّجربة بـ«الاعتبار»، وأسمى من يقوم بها بـ«المعتبر»[6].

كذلك يرجع الفضل للمسلمين في الطرق الحسابيّة المستعملة في الحياة اليوميّة، وهم الذين جعلوا من الجبر علمًا حقيقيًا، وتقدّموا به تقدّمًا كبيرًا، حتّى اعتبروا أنّهم هم الذين أسّسوه، فالخوارزمي مؤسّس علم الجبر، وكتابه الشهير بعنوان «الجبر والمقابلة»، فيه طرق حلّ المسائل بالوسائل المختلفة، والخوارزميّ الذي خلف على هذا العلم اسمَ الجبر، فانتقل إلى اللغات الأجنبيّة بلفظة العربي Algebre، أو Algebra، ممّا يؤكّد عروبة هذا العلم كما أسّس علماءُ العرب الهندسة التحليليّة، وحساب المثلّثات الذي لم يكن معروفًا عند اليونان.

وفي علم طبقات الأرض يُعتبر ما كتبه الرّئيس «ابن سينا» في كيفيّة تكوين الجبال والأحجار، والمواد المعدنيّة، وما إلى ذلك، من أهمّ المراجع التي اعتمدت عليها أوروبا إبّان نهضتها العلميّة.

وفي علم الاجتماع يعتبر «ابن خلدون» أوّل مفكّر اجتماعي استخدم المنهج العلمي، فهو أوّل من صاغ قوانين تقدّم الأمم وانهيارها[7].

وكثيرًا ما يُردّ القول بأنّ رسالة العلم العربيّ لم تكن إلا وسيلة مواصلات، نقلت علم اليونان إلى الغرب، فانطلق في تقدّمه في العصور الحديثة، ولو صحّ ذلك لكان أصحابُ العلم الأصليّون هم أولى النّاس بالتقدّم، ولم يحدث ذلك، بل إنّ الغرب نفسه، لم تكن تعوزه اللغة في قراءة التّراث اليوناني، ولم يكن في حاجة إلى من يترجم إلى لغة أخرى، فالعربيّة أشقّ عليه من لغة اليونان والرّومان، والواقع أنّ العلم القديم كان في حاجة إلى حاضنة ثقافيّة جديدة، يُفرخ من خلالها في ظلّ أوضاع مختلفة، ولم يكن العرب مجرّد هاضمين لهذا العلم، بل لقد استطاعوا أن ينقلوا عن غيرهم، ثمّ أبدعوا شيئًا جديدًا، والعلم العربيّ هو إحدى حلقات السّلسلة الثقافيّة التي تعيشها اليوم[8].